ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 01 يناير 2020

الرأسمالية وصعود العبودية الجديدة:
من تجارة العبيد إلى عبيد التجارة

أكشاط سوغاني
ترجمة: أحمد محمد بكر موسى

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020
All rights reserved © 2020

الرأسمالية وصعود العبودية الجديدة:
من تجارة العبيد إلى عبيد التجارة[1]

أكشاط سوغاني
ترجمة: **أحمد محمد بكر موسى**

1 Akshat Sogani, Capitalism and the rise of new slavery: from slave trade to slave in tarde

نشرت هذه المقالة في موقع العلاقات الدولية ،بريستول ،المملكة المتحدة بتاريخ 2 فبراير .2019 وهي على الرابط التالي:
www.e-ir.info/201902/02/

مقدمة المترجم:

يبدأ الكاتب مقالته بسؤال: هل قضي على العبودية حقا؟ ويجيب بأنه بعد ظهور الرأسمالية، بدأت أشكال جديدة من العبودية في الظهور على أرض الواقع. ويبين أن أحد تجليات العبودية يتخذ شكل استغلال العمال. لقد أدت الرأسمالية إلى الاستغلال الشديد لعمال المصانع، حيث يعملون في الواقع مثل العبيد. والطريقة الأخرى التي أدت بها الرأسمالية إلى الاستعباد هي حالة نزلاء السجون، حيث تمنح الحكومات ولاسيما في الولايات المتحدة، عقودا لشركات خاصة لإدارة السجون، ما أدى إلى تصاعد خطير في معدلات الحبس. وفي سبيل الربح، يوضع الناس في السجن حتى لأصغر الأفعال، ويستخدمون كعمالة رخيصة للعمل لصالح شركات أخرى، ثم يستعرض الكاتب رؤية ماركس للعبودية، تلك العبودية التي كانت حجته الرئيسة ضد الرأسمالية، وكيف كان يرى أن الرأسمالية تستعبد العمال، ثم ينتقد المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية التي تفصل بين السياسة والاقتصاد، ويوضح التشابك بين السياسة والاقتصاد في العلاقات الدولية. ويتعرض الكاتب لمفارقة أن تستند الرأسمالية إلى الحرية وتتحدث باسمها، ثم تأكل الرأسمالية الحرية باستغلال العمال وباستعباد الناس في السجون، ثم يصل الكاتب إلى السيادة التي ضحت بها الرأسمالية، عندما أدت إلى صعود العولمة التي خلقت حدودا سهلة الاختراق، وحيث وجود الشركات متعددة الجنسيات في دول متعددة دليل على تلاعب الرأسمالية بمفهوم السيادة. ويخلص الكاتب إلى نتيجة مفادها أن أشكال العبودية الجديدة، رغم حدوثها داخل الدول وخضوعها للاختصاص القضائي الداخلي لهذه الدول؛ إلا أنها تعد شأنا دوليا ملحا، وينبغي تضافر الجهود على المستوى الدولي لمحاربة هذه الأشكال.

النص المترجم:

مقدمة

لقيت العبودية تسامحا لمدة مئتين وخمسين عاما في الولايات المتحدة[1]. وعومل العبيد كمجرد أشياء، وحرموا حتى من حقوق الإنسان الأساسية. ومن أجل تحرير كل العبيد والتخلص من العنصرية ضد السود، وقع الرئيس إبراهام لينكولن التعديل الثالث عشر [1] في عام 1895 لإلغاء العبودية: «تحرم العبودية والتشغيل الإكراهي في الولايات المتحدة وفي أي مكان خاضع لسلطانها»[2]. ومع ذلك، فحتى بعد إلغائها، سُنت أنظمة وقوانين عنصرية تفسح مجالا لانتشار العبودية. وشملت هذه القوانين على وجه الخصوص قوانين جيم كرو Jim Crow بين عام 1877 وستينيات القرن العشرين التي كانت نظاما طبقيا عنصريا شرع الفصل الطبقي العنصري[3]. وبعد اندلاع حركات حقوق مدنية عديدة من قبل السود، واجهت قوانين جيم كرو نهايتها، بعدما أصدر ليندون جونسون قانون الحقوق المدنية في عام 1964[4].

لكن هل قضي على العبودية حقا؟ تقول هذه المقالة إنه بعد ظهور الرأسمالية، بدأت أشكال جديدة من العبودية في الظهور على أرض الواقع. وكما تقول أنجيلا تشان Angela Chan في مقالتها، لم تلغ العبودية أبدا فعليا، وإنما أعادت تعريف نفسها في أشكال جديدة[5]. وأحد تجليات العبودية يتخذ شكل استغلال العمال. لقد أدت الرأسمالية إلى الاستغلال الشديد لعمال المصانع، حيث يضطرون للعمل لساعات طويلة في ظروف قاسية للغاية، لكسب قوتهم من أجل خدمة ترف الطبقة الثرية. في الواقع، هم يعملون غالبا مثل العبيد. والطريقة الأخرى التي أدت بها الرأسمالية إلى الاستعباد هي حالة نزلاء السجون. فتجني مؤسسات خاصة في الولايات المتحدة أرباحا كبيرة من نزلاء السجون، حيث تمنح الحكومات ولاسيما في الولايات المتحدة، عقودا لشركات خاصة لبناء سجون، ما أدى إلى تصاعد خطير في معدلات الحبس، ومعظم الضحايا من مجتمعات السود. وفي سبيل الربح، يوضع الناس في السجن حتى لأصغر الأفعال ويستخدمون كعمالة رخيصة للعمل لصالح شركات أخرى.

---

1 Coates, Ta-Nehisi. “The Case for Reparations.” *The Atlantic*, Atlantic Media Company, 22 June 2018. Web.

2 “Slavery Abolished in America.” *History.com*, A&E Television Networks. Web.

3 “What Was Jim Crow.” *Ferris State University: Michigan College Campuses in Big Rapids MI, Grand Rapids MI, Off Campus Locations Across Michigan*. Web.

4 “Jim Crow Laws.” *History.com*, A&E Television Networks. Web.

5 Chan, Angela F. “America Never Abolished Slavery.” *The Huffington Post*. TheHuffingtonPost.com, 02 May 2015. Web.

والمشكلة الأكثر إثارة للقلق، هي أن الرأسمالية قد نشرت جذورها باندفاع في كل مكان وفي كل بلد. حتى الدول الشيوعية مثل الصين وروسيا تسير على نهج الرأسمالية، وهي في صراع دائم لزيادة ناتجها المحلي الإجمالي[6]. وهكذا، عندما بدأت كل الدول تبشر بالرأسمالية، بدأنا في تصور الحيز الدولي كهوية متجانسة، وحجبنا أنفسنا عن امتلاك تصور بديل حول كيف يمكن أن يكون الدولي [2]. لقد تبنينا هذا النظام إلى درجة أننا لا نسمع معارضة لهذه الاستغلالات القاسية، وذلك لأننا لا نعتبرها مظاهرا واضحة للعبودية. ولا نفهم كيف يُستعبد أفراد معينون مثل العمال والسجناء، ونحن نعيش في وهم أن العبودية قد ألغيت. وهكذا، إذا لاحظ المرء، لا تزال العبودية قائمة، فالعمال والسجناء لا يتمتعون بالحرية والفاعلية للعمل، ويعملون كمجرد دمى لهذا النظام. بالإضافة إلى ذلك، من المهم أيضا الأخذ في الاعتبار أن الأشكال السابقة من العبودية المباشرة قد لعبت في الواقع دورا ضخما في مساندة ظهور الرأسمالية. وقبل إلغاء العبودية، في بلدان مثل سانت دومينغو، «مثل العبيد 89% من السكان» وأنتج البلد «نصف قهوة العالم»[7]. واليوم، أنتجت الرأسمالية نفسها أنواعا جديدة من العبودية.

تدرس هذه الورقة أولا، تلك الأشكال الجديدة للعبودية من خلال منظور فلسفة ماركس، الذي انتقد الكثير من جوانب الرأسمالية، وكيف تأسر وعي الناس فلا يفكروا. وبعد ذلك، تشرح الورقة صلة هذه العبودية بالعلاقات الدولية، وذلك للحصول على فهم أفضل لسبب تطلب هذه القضية الكبيرة اهتمام جاد.

رؤية العبودية عبر منظور ماركس

بينما كان ماركس يعيش في المكان الذي يزدهر فيه التصنيع بوتيرة سريعة للغاية، كتب مطولا حول كيف تؤدي الرأسمالية إلى اضطرار العمال إلى العمل في ظروف قاسية ومؤلمة. وعندما التقى فريدريش إنجلز بماركس في عام 1848، قدم لماركس معلوماته التجريبية المباشرة حول نمط الحياة الفقيرة للعمال. وفي المسودة الأولى لكتاب «المخطوطات الاقتصادية والفلسفية» انتقد ماركس بقوة الرأسمالية من خلال الأدلة حول طبقات وطبقات انعزال العمال في الإنتاج الضخم بسبب تقسيم العمل[8].

وكانت حجة ماركس الرئيسة ضد الرأسمالية هي أنها تعزل الطبقة العاملة، وتستغلها وتستعبدها. وكان ماركس يرى أن العامل لا يعيش في عزلة، لكنه يعيش في نسيج اجتماعي. إن من طبيعة الإنسان الأساسية أن يكون اجتماعيا، لأنها الطريقة التي يرتبط بها بالآخرين، ويعيش معهم. وهكذا جادل بأن الإنسان يواجه

6 Catherine Putz, The Diplomat. “China And Russia Aim To Increase Trade Turnover To $200 Billion By 2020.” The Diplomat. Web.

7 “Revolutions and the international”. Eprints.lse.ac.uk.

8 “Marx 1844: Third Manuscript.” *Marxists.org*. Web.

استقطابين مختلفين في حياته. الاستقطاب الأول بين الإنسان والطبيعة. قال ماركس إن الرأسمالية قد سحبت العامل من طبيعته الأساسية ككائن اجتماعي، وأوجبت عليه استعمال عمله باستمرار في قطعة مخصوصة واحدة من العمل وبذلك تصبح حياته مجرد عمل على هذه المنتج من أجل كسب الأجر[9]. ففي الوقت الذي تحتفي فيه شركة أمازون ببلوغ قيمتها السوقية واحد تريليون دولار، نجد موظفا من بين كل ثلاثة من موظفيها في ولاية أريزونا فقيرا للغاية لدرجة أنه يضطر إلى الاعتماد على طوابع الطعام الحكومية، لأنه يتلقى أجرا ضعيفا جدا[10-11]. والشيء الوحيد الذي يهتم به موظف هذه الشركة في ولاية أريزونا هو بقاؤه حيا. أما حياته الاجتماعية، فهي غير ضرورية بالنسبة إليه، ما كان يقول عنه ماركس، إنه يخضع العمال للعزلة، وهو انحراف عن جوهرهم الإنساني[12].

بالإضافة إلى ذلك، يقول ماركس، إنه يوجد استقطاب ثان يوجد بين الإنسان والإنسان. ويجادل بأن واقع الإنسان يتحدد بواسطة الظروف المادية التي يعيش فيها. فمثلا عندما يعمل إنسان في مستودع شركة أمازون بولاية أريزونا يكون أقل ارتباطا وتعلقا بالمنتج، لأن هدف العمل كسب الأجر فقط، وهذا العمل هو انخراط في وظيفة رتيبة. وينتج عن ذلك استعمال محدود لحواس العامل، وهو تأكيد لواحدة فقط من قدراته الأساسية. وبالإضافة إلى ذلك، ما دام العامل لا ينتج سوى جزء من المنتج، فإنه لا يعرف حتى ماذا يكون المنتج النهائي. إنه يتلقى الأوامر من رئيسه لإنجاز المهمة، وبالتالي يفقد قدرته على التفكير بوعي[13]. وكما يقول ماركس في كتابه «الإيديولوجية الألمانية»، ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة، ولكن ظروفك المادية في الحياة هي التي تحدد وعيك[14]. وكما يقول إلك وسلوان في مقالتهما، حتى في السجون الخاصة في الولايات المتحدة، يستخدم السجناء باسم إعادة التأهيل كمصدر للعمالة الرخيصة من قبل الشركات، وغالبا ما لا يتلقى السجناء أجرا عن عملهم، أو يتلقون أجرا منخفضا جدا[15]. وبالتالي لا تكون لديهم أي حوافز للعمل، ويفقدون قدرتهم على التفكير. وقد قال ماركس بخصوص ذلك: يوجد عنصر واحد فقط يميز البشر عن الحيوانات هو الوعي أو القدرة على التفكير النقدي. فإذا خسر الإنسان هذه القدرة البشرية، فهذا بالضبط شكل آخر من أشكال العبودية تنتجه الرأسمالية. ويشكل عمال مصنع فوكسكون الذي ينتج آي فون آبل مثالا جيدا لإثبات كيف تؤدي الرأسمالية إلى الاستعباد. لقد شهد المصنع زيادة كبيرة في معدل الانتحار بين العمال

9 Ibid

10 Salinas, Sara. “Amazon Reaches $1 Trillion Market Cap For The First Time.” *CNBC*. Web.

11 “1 In 3 Amazon Employees On Food Stamps In Arizona.” *DailyCaller.com. Web.*

12 “Marx 1844: Third Manuscript.” *Marxists.org*. Web

13 ibid

14 “The German Ideology. Karl Marx 1845.” *Marxists.org*. Web.

15 “The Hidden History Of ALEC And Prison Labor.” *The Nation*. Web.

لدرجة قيام إدارة المصنع بتركيب شبكات ضخمة حول المباني من أجل «الإمساك بالعمال المتساقطين». وكانت أسباب الانتحار هي الضغوط الشديدة، ساعات العمل الطويلة وقسوة المديرين الذين يهينون العمال المخطئين[16]. فهل يختلف هذا عن الشكل القديم للعبودية؟ إذا كان الأجر هو مبرر الاختلاف، فعلى المرء ملاحظة أن الأجر قليل جدا لدرجة لا يكاد يكفي المرء للبقاء على قيد الحياة.

بالإضافة إلى ذلك، جعلت الرأسمالية الطبيعة البشرية ذاتية المصلحة، وأصبح الأفراد متمركزين حول أنفسهم. لقد جعلت البشر يطالبون باستمرار بالكثير والكثير، ولا توجد نهاية لتلك الرغبات. وأدرك ماركس أن مصدر هذه المشكلة هو الملكية الخاصة. فلدى البشر ميل مستمر إلى السعي من أجل الملكية الخاصة، حيث يعيد الجشع فرض نفسه بسبب التنافس[17]. وبالتالي، فسعيا وراء كسب المزيد من الأرباح، تكون الشركات على استعداد لإيجاد أعمال من كل شيء، حتى لو تطلب ذلك منها الانخراط في أنشطة لا إنسانية أو لا أخلاقية. وفي مثال السجون الخاصة في الولايات المتحدة، حيث قامت الحكومة بالتعاقد مع شركات خاصة لإدارة سجون، ناصرت هذه الشركات القوانين التي تسمح للحكومة بأن تكون أكثر صرامة تجاه الجرائم. وعندما تغص السجون بالمزيد والمزيد من السجناء، تستطيع تلك الشركات تعظيم أرباحها[18]. وبالإضافة إلى ذلك، هُيئ عمل آخر لهؤلاء السجناء، وهو استخدامهم كعمالة رخيصة لإنتاج سلع لشركات خاصة أخرى، حيث يكادون يعملون كموظفين. ومن هنا، ففي الصراع من أجل كسب المزيد من المال للحصول على جزء أكبر من الملكية الخاصة، فإن رأسماليي المحاسيب [3] على استعداد للذهاب إلى أي مدى حتى لو تطلب ذلك استعباد أناس آخرين وعزلهم في السجون أو استغلال العمال في المصانع. وتشهد حالات الانتحار التي حدثت في مصنع فوكسكون على كيف يعيش العمال حياة محتقنة ومحاصرة. وكان ماركس قد جادل بأن الطريقة الوحيدة لتخليص العمال من شبكة العبودية هي تجاوز الملكية الخاصة، بتحويلها إلى شيء آخر ووجود عالم يخلو من الرغبة في امتلاك ممتلكات خاصة. وسيوقف هذا التجاوز انعزال العمال، أي سوف ينخرط كل شخص في العمل في المنتجات الشغوف بها، وفي المكان الذي يمكنه فيه استغلال كامل إمكانياته[19]. وستتوقف هذه الشركات الخاصة عن استعباد البشر في السجون.

16 Merchant, Brian. “Life And Death In Apple’S Forbidden City.” *the Guardian*. Web.

17 “Marx 1844: Third Manuscript.” *Marxists.org*. Web

18 “Private Prisons Industry: Increasing Incarcerations, Maximizing Profits And Corrupting Our Democr - cy.” *HuffPost*. Web.

19 “Marx 1844: Third Manuscript.” *Marxists.org*. Web

لماذا تعد هذه المناقشة ملحة؟

ترى هذه الورقة أن هذا الموضوع يحتاج تدقيقا ملحا، لأن اللحظة التي نبدأ فيها بفهم الطريقة التي تنتج بها الرأسمالية هذه الأشكال الجديدة من العبودية، هي نفس اللحظة التي نصل فيها إلى إدراك كيف يملي علينا العالم الغربي المهيمن تعليماته، وبالتالي فهي تغير فكرتنا عما يكون الدولي. وكما يقول سانكران كريشنا Sankaran Krishna في مقاله، فإن الدولي ليس فقط التفاعل بين الدول ككيانات، لكن الدولي خبرة حياتية يومية. وبالإضافة إلى ذلك، يجادل سانكران بأن العالم الغربي يبذل جهدا كبيرا في إبراز الجانب غير الغربي، باعتباره «قوطي» [4][20]. وقد صور الغرب الشيوعية والفلسفات الماركسية على أنها شريرة وقوطية[21]. ويجادل أشاريا وبوزان Acharya and Buzan في دراستهم حول كيف يعيش الجميع تحت انطباع بأن «نظرية العلاقات الدولية الغربية قد اكتشفت المسار الصحيح لفهم العلاقات الدولية»[22]. وهذا بالضبط هو السبب الذي جعل كل البلدان (بما فيها البلدان الشيوعية) في الوقت الحاضر تتشرب شكلا من أشكال الرأسمالية، وتتبع مسار الغرب. وبينما ننظر بتبجيل لأنماط الحياة الغربية، نحجب أنفسنا عن إدراك المشاكل التي تخلقها الرأسمالية؛ كيف يُستغل العمال ويعيشون حياة العبيد. ونورد أدناه ثلاث حجج تهدف إلى إبطال الأفكار الغربية التالية: الحرية، السيادة والمدرسة الفكرية الواقعية.

افتراض الواقعية الخاطئ

يعد هانز مورغنثاو Hans Morgenthau واحدا من الآباء المؤسسين للمدرسة الفكرية الواقعية. وكما يقول عالم السياسة جون ميرشايمر: «عرفت لنا الواقعية العلاقات الدولية، وتتبع كل الدول تلك المبادئ التي حددتها الواقعية، وهكذا تسعى كل الدول نحو القوة»[23] في الواقع، كما ينظر دوما إلى الغرب كمحدد لنغمة المشهد الدولي، ينظر إلى نظرية مورغنثاو الواقعية على أنها إنجيل لكيفية سير العلاقات الدولية. ويعتبر ميرشايمر في مقالته «وعد المؤسسات الدولية الكاذب» الواقعية السياسية واحدة من أكثر النظريات تأثيرا وانتشارا. ومن المهم ملاحظة أن الواقعيين دائما ما يجادلون بأن الواقعية لا تخبرنا بكيف ينبغي للعلاقات

20 Krishna, Sankaran. “Race, Amnesia, and the Education of International Relations.” *Alternatives: Global, Local, Political*, vol. 26, no. 4, 2001, pp. 401–424. *JSTOR*, JSTOR,

21 “The Meaning Of Communism To Americans: Study Paper By Richard M. Nixon, Vice President, United States Of America | The American Presidency Project.” *Presidency.ucsb.edu*. Web.

22 Acharya, A., and B. Buzan. “Why Is There No Non-Western International Relations Theory? An Introdu - tion.” *International Relations of the Asia-Pacific* 7.3 (2007): 287-312. Web.

23 Mearsheimer, John J. “The False Promise of International Institutions.” *International Security*, vol. 19, no. 3, 1994, pp. 5–49. *JSTOR*, JSTOR

الدولية السير، ولكنها في الحقيقة ترسم صورة لكيف تسير العلاقات الدولية في الواقع، لأن النظام الدولي هُندس على هذا النحو[24].

ومع ذلك، ففي كتاب مورغنثاو «ستة مبادئ للواقعية السياسية»، ينص المبدأ السادس على أن السياسة هي «مجال عمل مستقل»، وأن جميع المجالات الأخرى مثل الأخلاق، الدين، النوع وحتى الاقتصاد مختلفة وخاضعة لنطاق السياسة. لكن هل السياسة حقا كيان منفصل؟ في الواقع ليس من الخطأ القول إن الاقتصاد يلعب دورا هائلا في التأثير على سياسة الدول، وبالتالي ينبغي ألا يطلق عليه كيانا مختلفا كليا عن السياسة. وحتى عندما نتحدث عن الاقتصاد السياسي العالمي، فهناك بادئة [5] مرتبطة بالاقتصاد، وهي السياسة. وينبغي على المرء إدراك التفاعل بين السياسة والاقتصاد. والأشكال الرأسمالية للاستغلال هي تجليات لهذا التفاعل. لقد لعب مجلس التعاون التشريعي الأمريكي - وهو هيئة في الولايات المتحدة تضم مشرعين من الدولة وشركات خاصة تنخرط في بناء السجون الخاصة - دورا ضخما في الدفع نحو «عقوبات أقسى عن الجرائم غير العنيفة»[25]. وقد أدى هذا إلى تصاعد خطير في الأعداد المتزايدة من الناس خلف القضبان وفي عدد الشركات المحققة أرباحا من وراء ذلك. وهذا مثال واضح لكيف يؤثر الاقتصاد في السياسة؛ فقد عرضت على الطاولة قوانين جديدة لصالح الشركات الخاصة. فمن خلال التواطؤ مع مشرعي الدولة وسياسييها، تسعى الشركات الخاصة إلى المزيد من الفرص للدفاع عن القوانين التي تسمح في الواقع باستعباد عدد أكبر من الناس في السجون. وبالتالي، فرسم صلة بين السياسة والاقتصاد ينقض تماما تصورنا لكيفية فهم الدولي. فمن خلال إلقاء الضوء على هذه العلاقة بين السياسة والاقتصاد والتركيز على كيف يتجذر الاقتصاد بعمق في السياسة، تتفتح لنا آفاق أكثر للنظر إلى الدولي بطرق أكثر اختلافا وليس مجرد تقيد بمنظور المدرسة الواقعية. وبذلك ندرك أنه ينبغي ألا تتمثل العلاقات الدولية في تصرفات الدول تجاه بعضها البعض فقط، ولكن يشمل الدولي الكثير من الأشياء الأخرى، بما في ذلك على سبيل المثال استغلال العمال بسبب الرأسمالية.

مغالطة الحرية

تقوم فكرة مجتمع الليبرالية الجديدة على افتراض حرية الأفراد، حيث يكون الفرد حرا في الانخراط في مهنة، تجارة وغير ذلك مع قيود أقل وأقل. ويجادل يوسف عبدالله مانو بأن «الديمقراطية الليبرالية هي الارتباط السياسي بالسوق الحرة (الرأسمالية الليبرالية)»[26]. وينظر دائما إلى الليبرالية كإيديولوجية، لأنها

24 ibid

25 “Private Prisons Industry: Increasing Incarcerations, Maximizing Profits And Corrupting Our Democr - cy.” *HuffPost*. Web.

26 Sokoto Journal of the Social Sciences Vol. 5: No. 2, June, 2015

تدعي الإيمان بأفكار الفردانية وحرية الفرد. وتعتبر فكرة سوق حرة غير منظمة في الرأسمالية أحد المسارات التي تجسد فكرة الحرية والتحرر[27]. وبما أن الرأسمالية واحدة من الدعاة الرئيسيين لسن تشريعات الحرية في مجتمع الليبرالية الجديدة، فعلينا إدراك أن الحرية وأشكال الاستغلال الرأسمالي يرتبطان معا بشكل وثيق، لأن هذا الاستغلال ذاته نتاج النظام الذي يجري في الديمقراطيات الليبرالية. إنها لمفارقة أن تستند الرأسمالية إلى الحرية وتتحدث باسم هذه الحرية، ثم تأكل الرأسمالية الحرية باستغلال العمال وباستعباد الناس في السجون إلخ. في الواقع، يمكن لنا رؤية أن سبب قدرة الرأسمالية على الحفاظ على نفسها هو بالضبط عيشها على فكرتي اللامساواة والاستعباد. وكما يجادل هارالامبوس وهيلد Haralambos and Heald في مقالتهما: «يُكتسب رأس المال من استغلال السواد الأعظم من الناس، وهم الطبقة العاملة»[28]. ومع توسع الرأسمالية بسبب تزايد الإنتاج في كل مكان، تتواجد رغبة في كسب المزيد والمزيد من الأرباح، ما يؤدي إلى المزيد من استغلال الطبقة العاملة وسلب حريتهم، وشعورهم أكثر بالعزلة والسجن في حياتهم.

وبما أن القوة المهيمنة الغربية هي التي تنشر فكرة حرية الفرد وتحرره، فينبغي على المرء التحقق مما هي الحرية والتحرر بالضبط. هل حقا كل فرد حر في الدولة الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية؟ في الحقيقة، تستعبد الرأسمالية الناس أكثر. وهذا يساعدنا على التشكك في مفهوم الحرية ذاته، ومن المهم جدا طرح هذه الأسئلة لأن الرأسمالية الليبرالية الغربية هي التي تسيطر على المجالات الاقتصادية في الشئون العالمية. وعلاوة على ذلك، هذا هو السبب في أن فكرة ماركس عن الشيوعية أصبحت مهمة جدا. فبدلا من الإجبار على إنتاج سلعة من أجل كسب الأجر، آمن ماركس بفكرة «من كل حسب قدرته، إلى كل حسب حاجته» للحصول على وصول وتوزيع مجانيان للسلع. لقد كان مفهوم ماركس للحرية يدور حول ازدهار البشر، حيث يتمكن الفرد من التصرف حسب إرادته، ويكون للجميع نفس المكانة بدون تفاوت وعدم مساواة[29].

إعادة تعريف السيادة

تعرف السيادة وفقا لموسوعة ستانفورد بأنها «التمتع بسلطة عليا داخل إقليم»، حيث «الدولة هي المؤسسة السياسية التي تتجسد فيها السيادة». ونبعت فكرة السيادة من «صلح وستفاليا» في عام 1648، وقد اكتسبت الآن أهمية أكبر في الساحة السياسية الحديثة، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية[30]. ومع ذلك، ينبغي علينا أيضا إدراك أن السياسة الحديثة تشكلت أيضا من خلال بزوغ الرأسمالية. وهذه مفارقة

27 Ibid

28 ibid

29 Marx, Karl. "Critique Of The Gotha Programme– I." *Marxists.org*. Web.

30 Philpott, Daniel. "Sovereignty." *Plato.stanford.edu*. Web.

أخرى يمكن للمرء ملاحظتها، ففي حين يعطي الحداثيون الغربيون أهمية كبيرة للسيادة، ويؤمنون بأن الدول تعيش ككيانات مختلفة ومنفصلة، ومع أن الرأسمالية هي منتج غربي أيضا، إلا أن الرأسمالية قد ضحت بفكرة السيادة. لقد أدت الرأسمالية إلى صعود العولمة التي خلقت الآن حدودا سهلة الاختراق مع تدفق السلع والخدمات عبر مختلف الدول. وكما تقول هيلين ستاسي Helen Stacy: تمثل التكنولوجيا عاملا آخر سمح للشركات بالعمل داخل دولة أو عبر دول متعددة[31]، وهي ترى أن العولمة قد أحدثت ثورة في فكرة السيادة. وبينما تصبح الرأسمالية قوية ومنتشرة في جميع أنحاء العالم، فإنها تحمل معها أيضا أثقالا متنوعة مما لديها من أشكال الاستغلال. إن وجود الشركات متعددة الجنسيات في دول متعددة لهو دليل على تلاعب الرأسمالية بمفهوم السيادة[32]. والأكثر أهمية، ما دامت هذه الشركات متعددة الجنسيات تعمل على هذا المستوى الواسع في دول مختلفة، فبالتالي لا يصبح استغلال العمال مجرد قضية وطنية. في الواقع، يصبح استغلال العمال قضية عالمية. وبينما تقع المراكز الرئيسة للشركات متعددة الجنسيات في الغرب، حيث البلدان المتقدمة، إلا أنها أقامت خطوط الإنتاج في العالم الثالث، حيث البلدان المتخلفة، وذلك لكي تحصل هذه الشركات على عمالة رخيصة، ما يكشف مدى استغلال هذه الشركات للعمال على مستوى عالمي[33] [34]. وطبقا لآرلو شولتز Arlo Shultz، تناضل الشعوب الإفريقية ضد الاستعمار الجديد الناتج عن دور الشركات متعددة الجنسيات، وكذلك المساعدات الأجنبية التي تتلقاها هذه الشعوب من البلدان المتقدمة[35]. فعندما نفذت الولايات المتحدة حملتها ضد «محور الشر»، كانت هذه الحملة باسم الدفاع عن السيادة الأمريكية ضد الإرهاب[36]. ولكن لماذا لا نسمع أيّ صوت يرتفع ضد انتقاص السيادة الذي تحدثه الشركات متعددة الجنسيات والمساعدات الأجنبية.

31 Stacy, Helen. "Relational Sovereignty." *Stanford Law Review*, vol. 55, no. 5, 2003, pp. 2029–2059. *JSTOR*, JSTOR.

32 Farooqi, Muhammad A. "Multinational Corporation in the Third World: Boon or Bondage?" *Pakistan Horizon*, vol. 30, no. 1, 1977, pp. 27–42. *JSTOR*, JSTOR.

33 Drucker, Peter F. "Multinationals and Developing Countries: Myths and Realities." *Foreign Affairs*, vol. 53, no. 1, 1974, pp. 121–134. *JSTOR*, JSTOR

34 Vachani, Sushil. "Enhancing the Obsolescing Bargain Theory: A Longitudinal Study of Foreign Ownership of U.S. and European Multinationals." *Journal of International Business Studies*, vol. 26, no. 1, 1995, pp. 159–180. *JSTOR*, JSTOR.

35 Vysotskaia, N. I., and Arlo Schultz. "The Struggle of the African Peoples Against Neocolonialism." *Intern - tional Journal of Politics*, vol. 6, no. 4, 1976, pp. 12–49. *JSTOR*, JSTOR.

36 Heradstveit, Daniel, and G. Matthew Bonham. "What the Axis of Evil Metaphor Did to Iran." *Middle East Journal*, vol. 61, no. 3, 2007, pp. 421–440. *JSTOR*, JSTOR.

خاتمة

من أجل تسليط الضوء على الواقع الكالح للرأسمالية، ركزت هذه المقالة على كيف تنتج الرأسمالية أنواعا جديدة من العبودية، ووضحنا هذه الأنواع عبر مقاربة غير غربية من منظور ماركس. وشددنا على أفكار ماركس حول كيف تسجن الرأسمالية الناس عبر مثالين رئيسين. أولا، عزل العمال وشعورهم بالضغط، لأنهم يُستغلون ويعيشون حياة العبيد كما هو حال عمال مصنع فوكسكون. ثانيا، وضحت المقالة كيف تدافع السجون الخاصة في الولايات المتحدة عن القوانين التي تسمح بوضع عدد أكبر من الناس خلف القضبان لكي تكسب المزيد من المال، وهذا نوع آخر من الاستعباد قد بزغ. وبذلك، فقد بعثت الرأسمالية العبودية مرة أخرى بعد إلغائها تماما في عام 1964. ثم أكدنا على مناقشة هذه الأفكار على الساحة الدولية. ولأننا قيدنا مدى الدولي بما يراه المنظور الغربي فقط، فينبغي علينا تخليص أنفسنا من الاندماج في التفكير أحادي الجانب المهيمن في العلاقات الدولية. ومن المهم لنا توسيع تصورنا لما هو دولي والنظر إلى موضوعات الانعزال والطبيعة الاستغلالية للرأسمالية في نطاق السياسة العالمية، ما يشرح لنا الكثير مما يحدث في العالم من حولنا ولا نعتبره مهما، أو لا نعتبره مهما بما يكفي، إلا أنه يؤثر على الحياة اليومية لمجتمعنا الدولي. وكما قال المؤرخ البريطاني إريك هوبزباوم Eric Hobsbawm ذات مرة: "لقد طورنا ثقافة السكون واللامبالاة"[37].

37 "Eric J Hobsbawm: 'Communist' Historian, Companion Of Honour And Socialism's Ghosts By James D. Young." *Marxists.org*. Web.

هوامش المترجم

[1] يقصد التعديل الثالث عشر لدستور الولايات المتحدة الأمريكية.

[2] سيوضح الكاتب بعد ذلك مقصده وهو أنه ينبغي ألا يتمثل ما يعد دوليا في تصرفات الدول تجاه بعضها البعض فقط، ولكن يشمل الدولي الكثير من الأشياء الأخرى، بما في ذلك أمور تبدو داخلية ولكنها دولية، مثل استغلال العمال بسبب الرأسمالية.

[3] رأسمالية المحاسيب هي نظام اقتصادي يعتمد النجاح فيه على العلاقة بين رجال المال ورجال السياسة، حيث يتمكن رجال الأعمال من تحقيق الأرباح عن طريق الفساد الحكومي، فيحصل رجال الأعمال المقربين على إمتيازات بدون وجه حق. انظر: محمد عبد الفضيل، راسمالية المحاسيب، دراسة في الاقتصاد الاجتماعي (القاهرة، دار العين، 2011)

[4] يقصد الكاتب بكلمة قوطي هنا فظ، غليظ أوجاف.

[5] يقصد مصطلح الاقتصاد السياسي political-economy.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020

All rights reserved © 2020